بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد: فيقول الله -تبارك وتعالى -في هذه السورة الكريمة سورة البقرة: **(الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (275)**

مُناسبة الآية لِمَا قبلها: لَمَّا ذكَر تعالى الأبرارَ المؤدِّين النَّفقات، المخرِجين الزَّكوات، المتفضِّلين بالبِرِّ والصِّلات، لذوي الحاجات والقَرابات، في جميع الأحوال-شرَع في ذِكْر أكَلَةِ الرِّبا وأموال الناس بالباطل وأنواع الشُّبهات. ((تفسير ابن كثير)) (708/1) فقال تعالى:

(الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ) أي: إنَّ الذين يأخذون الرِّبا، فينتفعون به بأكلٍ، أو شربٍ، أو لِباسٍ، أو سكَنٍ، أو غير ذلك من وجوه الانتفاع، إنَّما يقومون في الآخرة من قُبورهم لبَعْثهم ونُشُورهم، كهيئةِ المصروعِ الذي أصابه الشيطانُ بالجنونِ، كما كانوا في الدُّنيا كالمجانين في طلَبِ هذا المكسَب الخبيث. موسوعة التفسير

(الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا) أي: يأخذونه وينتفعون به بأي وجه من أوجه الانتفاع من أكل أو شرب أو لباس أو سكن أو مركب أو غير ذلك. سليمان اللهيميد

قال ابن الجوزي: وهذا الوعيد يشمل الآكل والعامل به، وإنما خص الآكل بالذكر، لأنه معظم المقصود.

والمتأمل في كلمة {يَأْكُلُونَ}، هل كل حاجات الحياة أكل؟ لا، فحاجات الحياة كثيرة، الأكل بعضها، ولكن الأكل أهم شيء فيها؛ لأنه وسيلة استبقاء النفس، و(الرِّبا) هو الأمر الزائد، وما دام هو الأمر الزائد يعني هو لا يحتاج أن يأكل، فهذا تقريع له.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:(مَنْ أَصبح مِنكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ، مُعَافًى فِي جَسدِه، عِندهُ قُوتُ يَومِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِحذافِيرِها) رواه الترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ.

وعن عبدِاللهِ بن عمرو بنِ العاصِ رضي الله عنهما: أَن رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ:(قَدْ أَفْلَحَ مَن أَسْلَمَ، وكَانَ رِزْقُهُ كَفَافًا، وَقَنَّعَهُ اللَّهُ بِمَا آتَاهُ) رواه مسلم.

والكفاف كما قال القرطبي -رحمه الله-أن يجد الإنسان ما يدفع ضروراته وحاجاته.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ (اللَّهُمَّ ارْزُقْ آلَ مُحَمَّدٍ قُوتًا) بخاري

أنس بن مالك رضي الله عنه (إِنَّهُ مَشَى إِلَى النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ بِخُبْزِ شَعِيرٍ، وإِهَالَةٍ سَنِخَةٍ، ولَقَدْ رَهَنَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ دِرْعًا له بالمدِينَةِ عِنْدَ يَهُودِيٍّ، وأَخَذَ منه شَعِيرًا لأَهْلِهِ، وَلَقَدْ سَمِعْتُهُ يقولُ: ما أَمْسَى عِنْدَ آلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ صَاعُ بُرٍّ، ولَا صَاعُ حَبٍّ، وإِنَّ عِنْدَهُ لَتِسْعَ نِسْوَةٍ). بخاري

وفي هذه الأحاديث صورة عن سيد الخلق صلى الله عليه وسلم، وكيف كان يتقلَّل من الدُّنيا يقتصر على القوت وهو ما يسُدُّ الرَّمَق، والدُّعاء بذلك، وأخْذ البُلْغة من الدُّنيا، والزُّهد فيما فوق ذلك؛ وجعل الرغبة في الآخِرة، ومعلوم لا يجتمع حب الدنيا والآخرة في قلب العبد، وكان عليه الصلاة والسلام خير خلق الله على

الأرض ومع ذلك يأخذ الشعير من يهودي، لنا فيه قدوة حسنة عليه الصلاة والسلام.

وقال ابن عبد البر في الاستذكار: وأما قوله ﷺ: أغنني من الفقر . مع قوله عليه السلام: اللهم أحيني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين ولا تجعلني جبارا شقيا . فإن هذا الفقر هو الذي لا يدرك معه القوت والكفاف ولا يستقر معه في النفس غنى، لأن الغنى عنده صلى الله عليه وسلم غنى النفس، ثبت عنه صلى الله عليه وسلم من حديث أبي هريرة أنه قال: ليس الغنى عن كثرة العرض، إنما الغنى غنى النفس . وقد جعله الله عز و جل غنيا وعدده عليه فيما عدده من نعمة فقال: ووجدك عائلا فأغنى {الضحى: 8} ولم يكن غناه صلى الله عليه وسلم أكثر من إيجاد قوت سنة لنفسه وعياله وكان الغنى كله في قلبه ثقة بربه وسكونا إلى أن الرزق مقسوم يأتيه منه ما قدر له ۞وكذلك قال عليه السلام لعبد الله بن مسعود: يا عبد الله! لا يكثر همك ما يقدر يكن وما يقدر يأتيك . ۞وقال ﷺ: إن روح القدس نفث في روعي فقال لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب خذوا ما حل ودعوا ما حرم . ۞فغنى النفس يعين على هذا كله وغنى المؤمن الكفاية وكذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول: اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا . ولم يرد بهم إلا الذي هو أفضل لهم، وقال: ما قل وكفى خير مما كثر وألهى . ۞وقال أبو حازم: إذا كان ما يكفيك لا يغنيك فليس في الدنيا شيء يغنيك . ۞وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستعيذ بالله من فقر مسرف وغنى مطغ وفي هذا دليل بين أن الغنى والفقر طرفان وغايتان مذمومتان ... اهـ.

وكما قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: من أراد الدنيا أضر بالآخرة ومن أراد الآخرة أضر بالدنيا، يا قوم فأضروا بالفاني للباقي.

إن الله سبحانه يريد أن يظهر لنا قبح التنازل عن الآخرة لأجل الدنيا، وقبح آكل الحرام والتنازل عن أحكام الله وشرعه طمعا في جمع حطام الدنيا، فأخبرنا أن هؤلاء الذين يأكلون الربا لهم سمة قبيحة يعرفوا بها كما قال العلماء في الآخرة، يتميزون بها في أرض المحشر، كما يقول الله: {يُعْرَفُ المجرمون بِسِيمَاهُمْ} ... [الرحمن: 41].

كما أن المتقين يعرفوا بسيماهم كما أخبر صلى الله عليه وسلم من التقوى والطهارة والوضاءة، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمِعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((إن أمتي يأتون يوم القيامة غُرًّا مُحجَّلين مِن أثر الوضوء، فمَن استطاع منكم أن يُطيل غرَّتَه فليفعَلْ))؛ متفق عليه، واللفظ لمسلم.

إذا رأيت آكلين الربا عرفتهم بسيماهم، وأنهم من أي صنف من أصناف العصاة حين يقومون يوم القيامة يقومون مصروعين كالذي يتخبطه ويضربه الشيطان من المس فيصرعه.

(لا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ) أي: لا يقومون من قبورهم يوم القيامة إلا كما يقوم المصروع حال صرعه وتخبط الشيطان له، وذلك أنه يقوم قياماً منكرًا. ابن كثير

وقال القرطبي رحمه الله: إثبات مس الجن وصرعهم للإنس وفي هذه الآية رد على أنكر تأثير الجان على الإنس، والصرع من جهة الجن، وزعم أنه من فعل الطبائع، وأن الشيطان لا يسلك في الإنسان ولا يكون منه مس، وقد روى أبو داود والنسائي عَنْ أَبِي الْيَسَرِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-كَانَ يَدْعُو: (وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ يَتَخَبَّطَنِي الشَّيْطَانُ عِنْدَ الْمَوْتِ).

قال ابن عباس: آكل الربا يبعث يوم القيامة مجنوناً يُخْنَق. رواه ابن أبي حاتم.

روى الإمام الطبري –رحمه الله–عن سعيد بن جبير –رحمه الله–في تفسير هذه الآية قوله: بعث آكل الربا يوم القيامة مجنوناً يخنق.

ونقل عن قتادة قوله: وتلك علامة أهل الربا يوم القيامة، بعثوا وبهم خبل من الشيطان.

قال ابن عثيمين –رحمه الله–"قال شيخنا –السعدي رحمه الله–: "فكما كانوا في الدنيا في طلب المكاسب الخبيثة كالمجانين، عوقبوا في البرزخ والقيامة بأنهم لا يقومون من قبورهم –أو يوم بعثهم ونشورهم–إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس، أي من الجنون والصرع" ولقد صدق –رحمه الله تعالى–فإن المرابين كالمجانين لا يعون موعظةً ولا يرعوون عن معصية، نسأل الله لنا ولهم الهداية.

يدل ذلك على الترهيب من هذا العمل الذي يكون مصير فاعله في الآخرة هذا الحال.

حكم الربا: الربا محرم في جميع الشرائع السماوية، وجاء تحريمه في الإسلام بأدلة قاطعة من القرآن والسنة الإجماع. قال الله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (278) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ (279). هذه الآية من أقوى الأدلة على تحريم الربا. وقال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (130) ال عمران.

من عقوبة آكل الربا في الدنيا أن صاحبه ملعون، (لَعَنَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ آكِلَ الرِّبَا وَمُؤْكِلَهُ، قالَ: قُلتُ: وَكَاتِبَهُ، وَشَاهِدَيْهِ؟ قالَ: إنَّما نُحَدِّثُ بما سَمِعْنَا) رواه مسلم وقال ε (آكلُ الرِّبا، وموكلُهُ، وَكاتبُهُ إذا علِموا ذلِكَ ...ملعونونَ على لسان محمد ε يوم القيامة) صحيح النسائي.

وإن أكله فإنه يغذي جسمه في الحرام: عَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَا يَرْبُو لَحْمٌ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ إِلَّا كَانَتْ النَّارُ أَوْلَى بِهِ) وصححه الألباني في "صحيح الترمذي". ورواه أحمد (14032) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، ولفظه: (لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ لَحْمٌ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ، النَّارُ أَوْلَى بِهِ) وإسناده جيد، وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة (2609).

والسحت هو الحرام الذي لا يحل كسبه، لأنه يسحت البركة أي يذهبها.

روي أن رجلاً أتى إلى مالك بن أنس –رحمه الله–فقال: يا أبا عبد الله! رأيت رجلاً سكران يتعاقر، يريد أن يأخذ القمر بيده، فقلت: امرأتي طالق إن كان يدخل جوف ابن آدم أشر من الخمر، فقال: ارجع حتى أتفكر في مسألتك، فأتاه من الغد، فقال: امرأتك طالق؛ إني تصفحت كتاب الله وسنة رسوله –صلى الله عليه وسلم– فلم أرَ شيئاً أشرَّ من الربا؛ لأن الله تعالى أذن فيه بالحرب. الجامع لأحكام القرآن للقرطبي

عن أنس بن مالك أن النبي –صلى الله عليه وسلم –قال: ((وقال إنَّ الدِّرهمَ يُصيبُه الرَّجلُ من الرِّبا أعظمُ عند اللهِ في الخطيئةِ من ستٍّ وثلاثين زنْيةً يزنيها الرَّجلُ) الترغيب والترهيب وقال صلى الله عليه وسلم (الربا ثلاثةٌ وسبعونَ بابًا، وأيسرُها مثلُ أنْ ينكِحَ الرجلُ أمَّهُ) صحيح الجامع

ومن عقوبات الربا أن الربا الأموال المجموعة من الربا ممحوقة البركة لا يستفيد منها صاحبها، بل يصاب بالشح والبخل يأخذ ولا يعطي لا يخاف الله ولا يرحم الضعفاء ولا يتصدق.

وقال النبي ε (اجتنبوا السبع الموبقآت وذكر منها...: أكل الربا ...) متفق عليه. وقال ε (ما أحدٌ أكثرَ من الربا إلَّا كان عاقبةُ أمرِه إلى قِلَّةٍ) صحيح ابن ماجه،قال ابن كثير: وهذا من باب المعاملة بنقيض المقصود.

وعن سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ τ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ε (رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتَيَانِي ، فَأَخْرَجَانِي إِلَى أَرْضٍ مُقَدَّسَةٍ ، فَانْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَيْنَا عَلَى نَهَرٍ مِنْ دَمٍ فِيهِ رَجُلٌ قَائِمٌ ، وَعَلَى وَسَطِ النَّهْرِ رَجُلٌ بَيْنَ يَدَيْهِ حِجَارَةٌ ، فَأَقْبَلَ الرَّجُلُ الَّذِى فِي النَّهَرِ فَإِذَا أَرَادَ الرَّجُلُ أَنْ يَخْرُجَ رَمَى الرَّجُلُ بِحَجَرٍ فِي فِيهِ فَرَدَّهُ حَيْثُ كَانَ ، فَجَعَلَ كُلَّمَا جَاءَ لِيَخْرُجَ رَمَى فِي فِيهِ بِحَجَرٍ ، فَيَرْجِعُ كَمَا كَانَ ، فَقُلْتُ مَا هَذَا فَقَالَ الَّذِى رَأَيْتَهُ فِي النَّهَرِ آكِلُ الرِّبَا) .

وعن أَبِي جُحَيْفَةَ قَالَ (نَهَى النَّبِيُّ ρ عَنْ ثَمَنِ الْكَلْبِ، وَثَمَنِ الدَّمِ، وَنَهَى عَنِ الْوَاشِمَةِ وَالْمَوْشُومَةِ، وَآكِلِ الرِّبَا، وَمُوكِلِهِ، وَلَعَنَ الْمُصَوِّرَ) رواه البخاري.

قال الشنقيطي : واعلم أن الله صرح بتحريم الربا بقوله (وَحَرَّمَ الربا) وصرح بأن المتعامل بالربا محارب الله بقوله (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (278) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ (279) وصرح بأن آكل الربا لا يقوم أي : من قبره يوم القيامة إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس بقوله (الذين يَأْكُلُونَ الربا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الذي يَتَخَبَّطُهُ الشيطان مِنَ المس ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قالوا إِنَّمَا البيع مِثْلُ الربا) والأحاديث في ذلك كثيرة جداً.

(ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا)

أي: هذا الذي يُصيبهم يومَ القيامة، من قُبْح حالهم، ووَحْشة قيامهم من قبورهم؛ من أجل أنهم كانوا في الدنيا يَكذِبون فيقولون اعتراضًا على أحكام الله تعالى في شَرْعه -: إنَّما البيعُ الذي أحلَّه الله لعباده مِثْلُ الرِّبا؛ فمَا الفرق بينهما وكلاهما وسيلتان للتَّكسُّب؛ فلِمَ حُرِّم هذا وأُبيح هذا؟ فكذَّبهم الله في قيلهم هذا؛ بأنَّ الله تعالى المستحِقَّ للعبادة وحده هو الذي أحلَّ الأرباحَ في التجارة والشراء والبيع، وحرَّم أخْذ الزِّيادة بالباطل، وليسا سواءً، فالأمر أمره، والخَلْق خَلْقه، يَقضي فيهم ما يشاء، ويَستعبِدهم بما يُريد، وعليهم طاعته والتسليم لحُكْمه؛ فهو العالم بحقائق الأمور وما ينفع عباده، فيُبيحه لهم، وما يَضُرُّهم، فينهاهم عنه. موسوعة التفسير

قال ابن كثير: قوله تعالى (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا) أي: إنما جُوزُوا بذلك لاعتراضهم على أحكام الله في شرعه، وليس هذا قياسًا منهم للربا على البيع؛ لأن المشركين لا يعترفون بمشروعية أصل البيع الذي شرعه الله في القرآن، ولو كان هذا من باب القياس لقالوا: إنما الربا مثل البيع، وإنما قالوا (إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا) أي: هو نظيره، فلم حرم هذا وأبيح هذا؟ وهذا اعتراض منهم على الشرع، أي: هذا مثل هذا، وقد أحل هذا وحرم

هذا! ابن كثير

(وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبا) أي: وأحل الله البيع لما فيه من تبادل المنافع، وحرم الربا لما فيه من الضرر الفادح بالفرد والمجتمع.

وبعد هذه الآية كل من تعامل بالربا يدل على جرأته على الله والاعتراض على حكم الله الشرعي.

(فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) أي: مَن بلَغه النَّهي عن الرِّبا والتخويف من أكْله وتعاطيه عمومًا، فكَفَّ عنه وانزَجَر، فله ما أكَل منه وأخَذ فيما مضى قبل نزول تحريمه، وشأن آكِله إلى الله تعالى في توفيقه أو خِذلانه، وكذا عفوُه أو عُقوبته، فيما يَستقبِل من زمانه، فإنْ عَلِم مِن قلبه صحَّةَ توبتِه، غفَر له، وإلَّا عاقبه على ذلك. ومَن عاد لأكلِ الرِّبا بعدَ بلوغِه تحريمُه مستحلًّا له، وعاد إلى القولِ بأنَّ البيعَ مثلُ الرِّبا، وأصرَّ على ذلك، فقد استوجب عقوبةَ اللهِ تعالى بملازمةِ نارِه خالدًا فيها.

قال ابن كثير: قوله تعالى **(فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ)** أي: من بلغه نهي الله عن الربا فانتهى حال وصول الشرع إليه، فله ما سلف من المعاملة، لقوله (عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ) وكما قال النبي ε وكل ربًا في الجاهلية موضوع تحت قدمي هاتين، وأول ربا أضع ربا العباس، ولم يأمرهم برد الزيادات المأخوذة في حال الجاهلية، بل عفا عما سلف. ابن كثير

قال الشيخ الشنقيطي: قوله تعالى (فَمَن جَآءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّنْ رَّبِّهِ فانتهى فَلَهُ مَا سَلَفَ) معنى هذه الآية الكريمة أن من جاءه موعظة من ربه يزجره بها عن أكل الربا فانتهى أي: ترك المعاملة بالربا خوفاً من الله تعالى وامتثالاً لأمره (فَلَهُ مَا سَلَفَ) أي: ما مضى قبل نزول التحريم من أموال الربا.

(فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ) ونتأمل في كلمة (رَبِّهِ) الرب سبحانه الذي تولى تربية عباده، بالإيجاد والاعداد والإمداد، الخالق المالك الرازق المدبر، والذي تولى خلقه بتسخير كل شيء له ليحيا حياة طيبة كريمة، لذلك يجب أن يكون الإنسان مهذبا أمام ربه فلا يخالف أمر الخالق الرازق لأجل الهوى والنفس، علينا أن ننتفع من هذه الموعظة الربانية.

تحذير من الله لعباده اياكم أن تعصوا ربكم الذي رباكم وجميع الخلائق بنعمه {فَمَن جَآءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّنْ رَّبِّهِ) تلك هي عظمة التشريع الرباني {فانتهى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى الله} ومعنى ذلك أن الأمر لن يكون بأثر رجعي فلا يؤاخذ بما مضى منه؛ لأنه أخذ قبل نزول التحريم؛ تلك هي أعظم الرحمة.

(فَلَهُ مَا سَلَفَ) الربا ثلاث أقسام:

1. إذا كانت المعاملة قبل نزول التحريم وتمت معاملته وانتهت وأخذ المال لا شيء عليه فله ما سلف.
2. ومن كانت له معاملة ولم تنتهي معاملته ونزلت اية التحريم يأخذ فقط رأس ماله ويحرم عليه الزيادة.
3. وما كان بعد نزول آية تحريم فحرام عليه أخذ اي زيادة الى قيام الساعة.

قال تعالى (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ .... (115) التوبة. فصرح بأنه لا يضلهم بفعل أمر إلا بعد بيان اتقائه.

(وَأَمْرُهُ إِلَى الله) يجب أن نتعلق بالرزاق لا نخشى القلة والفقر، ونتضطرب فنتوهم النقص بسبب الالتزام بالشرع، سأخسر مالي، أخشى على مركزي، وكذا وكذا، اجعل سندك الله، ففي الله عوض عن كل فائت، هو سبحانه لا يريد أن تزول عنكم النعم، ولكن يربيكم ويصلحكم ويصطفي لكم الأفضل من الأحكام والشرع الذي ينظم العلاقات ويضبطها ويجعلها في إطار الحلال وبعيد عن الحرام.

(وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ) أي: أمره موكول إلى الله، إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه. سليمان اللهيميد

(وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) أي: ومن عاد إلى التعامل بالربا بعد تحريم الله له فهو من المخلدين في نار جهنم. سليمان اللهيميد

قال أبو حيان: فإن كانت في الكفار فالخلود خلود تأبيد، أو في مسلم عاص فخلوده طول مكثه لا التأبيد.

وهناك تنبيه على شيء متداول بين النساء وهو من صور الربا، تبديل ذهب قديم بجديد أو التقسيط في شراء الذهب، أو التأخر في تسليم الثمن وهذه جميعها صور للربا المحرم، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال (لا تبيعوا الذهب بالذهب إلا مثلاً بمثل سواء بسواء).

قال البقاعي: ولما كان المرغب في الربا ما فيه من الربح الناجز المشاهد، والمفتر عن الصدقة كونها نقصاً محققاً بالحس بيّن أن الربا وإن كان بصورة الزيادة فهو نقص وأن الصدقة وإن كانت بصورة النقص فهي زيادة لأن ذلك إنما هو بيده سبحانه وتعالى فما شاء محقه وإن كان كثيراً أو ما أراد نماه وإن كان يسيراً فقال كالتعليل للأمر بالصدقة والنهي عن الربا ولكون فاعله من أهل النار (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور):

(يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ) (276)

مُناسبة الآية لِمَا قبلها: لَمَّا زجَر الله تعالى عن الرِّبا ورغَّب في الصدقات، وكان الدَّاعي لبعض الناس إلى فِعل الرِّبا طلبَ الزيادة في الأموال، والصارف لبعض الناس عن الصَّدقة الاحترازَ عن نُقصان هذه الأموال؛ بَيَّن تعالى أنَّ الرِّبا في حقيقة الأمر نقصانٌ، وأنَّ الصدقةَ في حقيقة الأمر زيادةٌ. ((تفسير الرازي)) (80/7).

فقال سبحانه:

(يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ) أي: يُذهِب الله تعالى مكاسبَ الرِّبا بالكُلِّيَّة من يد صاحبها، أو يَحرِمه بركتَها؛ فلا يَنتفِع بها، بل يُعذِّبه بها في الدنيا، ويُعاقِبه عليها يوم القيامة جزاءً مِن جِنْس ما عمِل، بينما يُنمِّي أجرَ الصَّدقات لصاحبها حتى تَتضاعَف. موسوعة التفسير

كما قال تعالى: (وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبًا لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ) [الروم: 39].

(يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبا) أي: يذهبه، إما بأن يذهب بالكلية من يد صاحبه، أو يُحْرِمَ بركة ماله فلا ينتفع به، بل يعذبه به في الدنيا ويعاقبه عليه يوم القيامة. سليمان اللهيميد (المحق نقصان الشيء حالاً بعد حال). كما قال تعالى (وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ ۚ..)37الأنفال.

قال السمرقندي: يقال: إن مال آكل الربا لا يخلو من أحد أوجه ثلاثة، إما أن يذهب عنه أو عن ولده، أو

ينفقه فيما لا يصلح.

قال القرطبي: **(وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ)** أي يُنَمِّيها في الدنيا بالبركة ويُكثر ثوابَها بالتضعيف في الآخرة.

قال ابن عطية: وقد جعل الله هذين الفعلين بعكس ما يظنه الحريص الجشع من بني آدم، يظن الربا يغنيه وهو في الحقيقة ممحق، ويظن الصدقة تفقره وهي نماء في الدنيا والآخرة.

عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ε (مَا تَصَدَّقَ أَحَدٌ بِصَدَقَةٍ مِنْ طَيِّبٍ –وَلاَ يَقْبَلُ اللَّهُ إِلاَّ الطَّيِّبَ –إِلاَّ أَخَذَهَا الرَّحْمَنُ بِيَمِينِهِ وَإِنْ كَانَتْ تَمْرَةً فَتَرْبُو فِي كَفِّ الرَّحْمَنِ حَتَّى تَكُونَ أَعْظَمَ مِنَ الْجَبَلِ كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ أَوْ فَصِيلَهُ) متفق عليه.

(وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ) أي: إنَّ الله تعالى لا يحبُّ كلَّ من كان كثيرَ الكُفْران، مُصرًّا على الكُفْر بنِعَمه، مقيمًا على ذلك، مُستحِلًّا أكْلَ الرِّبا، متماديًا في الإثم فيما نهاه عنه من أكْله وتَعاطِيه، وغير ذلك من معاصيه، لا يَرْعوي عنه، ولا يتَّعِظ بموعظة ربِّه؛ ذلك أنَّ المرابي لا يَرضَى بما قسَم اللهُ تعالى له من الحلال، ولا يَكتفي بما شرَع له من التَّكسُّب المباح، فهو يَسعى في أكْل أموال الناس بالباطل، بأنواع المكاسب الخبيثة، فهو جَحودٌ لما عليه من النِّعمة، ظَلومٌ آثمٌ بأكل أموال الناس بغير وجْه حقٍّ . موسوعة التفسير.

(وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ) أي: لا يحب كفور القلب أثيم القول والفعل. سليمان اللهيميد

قال ابن كثير: ولا بد من مناسبة في ختم هذه الآية بهذه الصفة، وهي أن المرابي لا يرضى بما قسم الله له من الحلال، ولا يكتفي بما شرع له من التكسب المباح، فهو يسعى في أكل أموال الناس بالباطل، بأنواع المكاسب الخبيثة، فهو جحود لما عليه من النعمة، ظلوم آثم بأكل أموال الناس بالباطل.